مقالة

رَثْيُ الأخوة

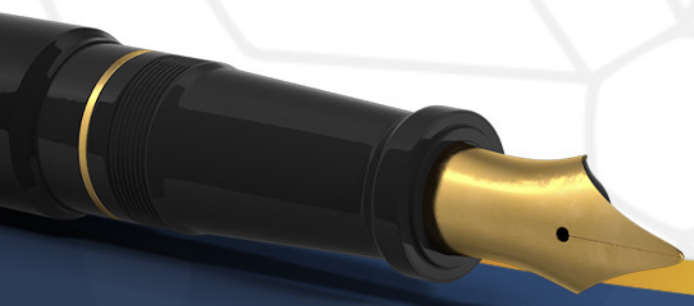

لفضيلة الشيخ

محمد عثمان العنجري

بتاريخ : ١٣ جمادى الآخرة ١٤٤٢ هـ الموافق ٢٦/ ٠١/ ٢٠٢١

مقالة

قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

قال الإمام الطبري :

"ولمن صبر على إساءة إليه, وغفر للمسيء إليه جرمه إليه, فلم ينتصر منه, وهو على الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ يقول: إن صبره ذلك وغفرانه ذنب المسيء إليه, لمن عزم الأمور التي ندب إليها عباده, وعزم عليهم العمل به."

أنزل الله كلامه تعالى من فوق سبع سماوات في واقعة أبي بكر الصديق يحثه على العفو والصفح عن مسطح بن أثاثة -رضي الله عنهما - ، وكان مسطح بن أثاثة ممن تكلم في الإفك، وكان أبو بكر الصديق ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره فقال الصديق رضي الله عنه : "والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال"

فأنزل الله قرآنا يتلى بتوجيه أبي بكر الصديق إلى الكمال المستحب وهو صاحب اليد العليا والفضل على من تكلم في عرضه -رضي الله عنهما- فقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿والله غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

فما كان من أعظم رجل بعد الأنبياء والرسل إلا التسليم والانقياد لأمر الله مع عظم الثقل والأمر على قلبه من حادثة الإفك فقال -رضي الله عنه-: "بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فأَرْجَعَ إلى مسطح النفقةَ التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا".

عن أبي هريرة رضي الله عنه:

"أن رجلًا شتم أبا بكر والنبي ﷺ جالس، فجعل النبي ﷺ يعجب، ويتبسم، فلما أكثر -هنا- ردَّ الصديق عليه بعض قوله [قول المعتدي]؛ فغضب النبي ﷺ، وقام فلحقه أبو بكر الصديق، فقال: يا رسول الله، كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت، قال ﷺ: "إنه كان معك مَلَك يردُّ عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان؛ فلم أكن لأقعد مع الشيطان" , ثم قال ﷺ: "يا أبا بكر... ما من عبد ظلم بمظلمة، فيغضي عنها لله عزَّ وجلَّ إلا أعزَّ الله بها نصره...".

هذا المقام العظيم وهذه الدرجة العالية من الكمال المستحب أرادها النبي ﷺ لأبي بكر الصديق وهو أحب الرجال إليه في حال صبره والإمساك عن الرد رغم القدرة على ذلك.

روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاض قال:

"إِذَا أَتَاكَ رَجُلٌ يَشْكُو إِلَيْكَ رَجُلًا فَقُلْ: يَا أَخِي، اعْفُ عَنْهُ فَإِنَّ الْعَفْوَ أَقْرَبُ للتقوى.

فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني الله -عز وجل-.

فقل له: إِنْ كُنْتَ تُحْسِنُ أَنْ تَنْتَصِرَ وَإِلا فَارْجِعْ إِلَى بَابِ الْعَفْوِ، فَإِنَّهُ بَابٌ وَاسِعٌ، فَإِنَّهُ مَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَصَاحِبُ الْعَفْوِ يَنَامُ عَلَى فِرَاشِهِ بِاللَّيْلِ، وَصَاحِبُ الِانْتِصَارِ يُقَلِّبُ الْأُمُورَ".

مقـالة

وعن ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ:
"لَمَّا كَانَ يَومُ حُنَينٍ آثَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى نَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللهِ.

فَقُلْتُ: وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ؟! ثُمَّ قَالَ ﷺ: يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ"

يتأسى ﷺ بصبر مُوسَى -عليه السلام-، كما يشهد ﷺ لنبي الله موسى أنه أوذي بأكثر من هذا وصبر، والنبي ﷺ كان لا ينتقم ولا يغضب إلا لحرمات الله.

يا صاحب الحق؛ سترمى من مرضى القلوب؛ ومن الحسود؛ ومن الباغي الحقود؛ ومن ضعاف العقول؛ ومن أخ فاضل ؛ وممن تحبه في الله؛ فكن قوياً صابراً محتسباً حكيماً؛ ولا تعتدي ولا تعتدي؛ وهديك مع المعتدي هدي النبي ﷺ ، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ واللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

كتبه : الشيخ محمد عثمان العنجري
بتاريخ ١٣ جمادى الثاني ١٤٤٢ هـ
الموافق ٢٦ يناير ٢٠٢١